«الآداب»
في عامها الأربعين

بهذا العدد، تدخل «الآداب» عامها الأربعين. . .

وقد أصبح من نافلة القول أن صمود هذه المجلّة، في الظروف التي تصدر فيها، يُعَدُّ من المعجزات، لا سيّما وأنها تعاني، منذ أكثر من عشر سنوات، أزمة خانقة تحاول أن تتغلّب عليها بالصبر والدأب والتحدّي!

وأودّ أن أستشهد هنا ببعض ما قلته، منذ عشر سنوات(*)، إذ لم يتغيَّر شيء جوهريّ في هذا الوضع، بل لعلّه قد ازداد سوءاً مع تتابع النكسات القوميّة في الوطن العربي. . .

«إن من أسباب هذه الأزمة منافسة غير متكافئة مع مجلّات عربية كثيرة صدرت في العقد الأخير، إمَّا عن وزارات الثقافة والإعلام في العواصم العربيّة، وإما بدعم من الجهات العربيّة الرسميّة، ومن اليسير اكتشاف الجهات التي تنتسب إليها هذه المجلّات الأخيرة الصادرة في بيروت، والتي خُصّصت لها ميزانيّات ضخمة تُصرف على تمويلها والتعويض بسخاء على كتّابها والمشاركين فيها.»

وتابعت أقول في تلك الافتتاحيّة:

«وقد كان من أيسر الأمور أن تتجاوز «الآداب»، أزمتها بأن ترهن نفسها لهذا النظام أو ذاك، كما يفعل كثير من المجلّات الآن، ولكن ذلك كان يكون خيانة لاستقلاليّتها التي كانت، طوال الأعوام الثلاثين الماضية، عنوان اعتزازها الأوّل الذي مكّن لها ان تحافظ على احترام القرّاء العرب لها، وتقديرهم لدورها القيادي في مسيرة الثقافة العربيّة.

«وإذا كان كثير من المؤسّسات المرتبطة بالأنظمة العربيّة القائمة تُعِدُّ عُدّتها للانحناء والانطواء تحت الريح الرجعيّة التي تعصف اليوم بالوطن العربيّ، تجاوباً مع الهجمة الاسرائيليّة ـ الأميركيّة، فإن دور «الآداب» في التصدّي الثقافي لهذه الهجمة هو أشدّ إلحاحاً من أيّ وقت مضى، لا سيّما في لبنان الذي يُراد له أن يخضع للعدوان الاسرائيليّ ويرفع علم الاستسلام.»

ومضيت أقول، كأنّني أتنبّأ بما سيلحق لبنان من آثار الأزمات الانتكاسيّة العربيّة:

(*) راجع افتتاحية العدد ٥ ـ ١٢ من «الآداب» لعام ١٩٨٢.

«لقد كان لبنان دائماً الموقع المتقدِّم في معركة الحريّة الفكريّة في الوطن العربي، وكانت «الآداب» المنبر الأوّل لصوت هذه الحرّيّة. وإذ ترى المجلّة أن حريّة التعبير غدت مهدّدة في لبنان، وأصبحت معرّضة للخنق، فإنّها تشعر بأنّ مهمّتها الآن تمسي أثقل مسؤوليّة وأعمق وعياً»

وقد ختمتُ تلك الكلمة بالعبارات التالية:

«ستواصل «الآداب» مسيرتها لتواصل تأدية دورها في الدفاع عن الثقافة العربيّة الأصيلة، والإبداع الأدبيّ. وستتغلّب على أزمتها بفضل التفاف الكتّاب والقرّاء الواعين، وستواجه المنافسة غير المتكافئة لتحافظ على الإنتاج النظيف في وجه الإغراءات البترو ـ دولاريّة التي أغرقت سوق المجّلات وتكاد تغرق ضمائر الكتّاب...»

* * *

بالرغم من انقضاء هذه الأعوام العشرة، عقب الاجتياح الاسرائيلي للبنان، أكاد أتبنّى وأكرّر كلّ ما أثبتُّه في ذلك المقال.

وأضيف إلى ذلك أن الأزمة القوميّة العربيّة تزداد تفاقماً بسياسة التراجع والتخلّي التي يتبعها معظم الأنظمة العربيّة، لحاقاً بسياسة «النظام الدولي الجديد» الذي تعمل الولايات المتحدة الأميركيّة على أن تسيطر به على العالم برمّته بعد انهيار الاتحاد السوفياتي...

كما أضيف أن لبنان قد يكون على عتبة تبنّي سياسة القمع التي يُمارسها معظم الأنظمة العربيّة، على ما تشهد به منظمات حقوق الإنسان..

والحقّ أننا إذا خسرنا في لبنان حرّيّة التعبير، خسرنا الميزة الأولى التي يتمتّع بها، ولم يبق لنا شيءٌ ندافع عنه!

إنّ هذه الأزمة التي تؤرّقنا تزيدنا إصراراً على المضيّ في إصدار «الآداب»، داعين أصدقاءنا من الكتّاب، ولا سيّما أولئك الذين وُلِدوا على صفحاتها، للعودة إلى النبع ـ ولو اضطرُّوا إلى تحمّل بعض التضحية... ـ وعدم الانسياق مع مغريات «الخطف» الذي يمارسه بعض المجلّات الجديدة بوسائل ماديّة أقلّ ما توصف به أنّها تثير التساؤلات، إن لم نقل الشكوك!

وتدعو «الآداب» كذلك قرّاءها الكثر، في أرجاء الوطن العربي، أن يساعدوها على اجتياز أزمتها بالاشتراك فيها مباشرة، بدلاً من أخذها من السوق التي يلتهم الموزّعون وأصحاب المكتبات أكثر من نصف قيمة المبيع فيها.[1]

ومهما يكن من أمر، فقد عاهدت نفسي على الاستمرار في إصدار «الآداب»، ما دمت على قيْد الحياة...

سهيل ادريس

(١) لا بأس من إعلام الكتّاب والقرّاء أن ليس هناك نظام واحد من الأنظمة العربية يكتتب بأيّ اشتراك في «الآداب». وهذا موضع فخرنا لا موضع احتجاج وشكوى!